الحياة الطيّبة
السنة 25
العدد 45
ربيع 2021م
أبحاث ودراسات

دور المساجد في التنمية الثقافيّة للمجتمعات الإسلاميّة

د. محمد عترت دوست[1]؛
أميرحسين فراستي[2]

مُستَخلَص:

اعتنى الدين الإسلامي المبين بالثقافة والتنمية الثقافيّة، ويشهد لذلك حراك النبي ﷺ طيلة بعثته الشريفة الذي كان حراكًا ثقافيًّا نحو التوعية وإنشاء الحضارة الثقافيّة.

وتَرى الثقافة الإسلاميّة في بناء المساجد رمزًا للحكومة الدينيّة، مرتبطًا بالأمّة الإسلاميّة؛ لما لها من دور بارز في تنمية العلاقات الاجتماعيّة والثقافيّة في المحيط المدنيّ.

ولذا، تتناول هذه الدراسة موضوع التنميّة الثقافيّة؛ بوصفها سياسة كلّيّة للبلوغ إلى التنمية المستدامة على مستوى المجتمع الإسلاميّ؛ بالاستفادة من الآيات والروايات الواردة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام التي تبيّن دور المساجد وفوائدها وأهدافها في تحقيق التنمية والتعالي الثقافي للمجتمع.

(1) أستاذ جامعيّ وباحث في الفكر الإسلاميّ، من إيران.
(2) باحث في الفكر الإسلاميّ، من إيران.

كلمات مفتاحيّة:

المسجد، التنمية الثقافيّة، التنمية المستدامة، التعالي الثقافيّ، المجتمع الإسلاميّ.

مقدّمة:

أثبت الدراسات أنّ للتنمية؛ بوصفها حقيقة منشودة للإنسانيّة أبعادًا متنوّعة. وقد اعتنى العلماء والمفكّرون، في العالَم المعاصر للعلاقات، بالعلاقة والتأثير والتأثّر المتبادلين بين أبعاد التنمية المتنوّعة؛ ومنها: التنمية الثقافيّة. واتّضح بجلاء استبعاد البلوغ إلى أبعاد التنمية الأخرى؛ كالتنمية الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة، دون الاهتمام بالتنمية الثقافيّة وتنمية الموارد البشريّة؛ كما بدورها تصادف التنمية الثقافيّة وتنمية الموارد البشريّة مشاكل متعدّدة إنْ كانت دون الاهتمام بالتنمية الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة؛ للعلاقة الجدليّة بينها.

بناءً على ذلك، لا يمكن إنكار ضرورة التعليم والتربية وتنمية القوى البشريّة المتقية، والناجعة والقادرة؛ بوصفها أحد أبرز مؤشّرات التنمية الثقافيّة؛ لتحقيق الأبعاد الأخرى للتنمية.

إنّ أهمّ الأبعاد في تنمية كلّ بلد هو القضايا الثقافيّة، وأنْ تُؤخذ القضايا الثقافيّة في التنمية السياسيّة والاقتصاديّة بعين الاعتبار، بما يتيح التنمية الاجتماعيّة وفقًا لفهمها المعاصر. ومن الأركان الهامّة للتنمية الثقافيّة في المجتمعات البشريّة هي القوى البشريّة الناشطة والملتزمة في المجتمع نفسه.

لقد كان الرسول ﷺ يُدير كثيرًا من الأمور الحكوميّة من على المنبر، وكانت الاستشارات المرتبطة بالحروب في الأعّم الأغلب تنعقد في المسجد، وكان جنود المسلمين يجتمعون فيه قبل الانطلاق إلى الغزوات أيضًا، وكلّ ذلك يدلّنا على الدور المطّرد للمسجد في التاريخ الإسلاميّ، حيث استفاد الرسول ﷺ من هذه الأمور ليُريَ الناس الإمكانيّة الكبيرة لهذا المركز الدينيّ في زيادة التقارب والتماسك الاجتماعيّ، ويُبطل فكرة من يرى الإسلام أحاديّ البعد.

وبما أنّ التنمية الثقافيّة لجيل الشباب؛ بوصفها سياسة كلّيّة للبلوغ إلى التنمية المستدامة في المجتمع، هو الموضوع الذي يمكن تناولُه عبر الوثائق الدينيّة، تهدف هذه الدراسة إلى بيان الفوائد التي تلعب دورًا رياديًّا في التنمية والتعالي الثقافيّ للمجتمع، فللمسجد إسهام هامّ في التنمية والتعالي الثقافيّ للمجتمع الإسلاميّ، وفي حلّ كثيرٍ من المشاكل الثقافيّة. وهذا ما يتطلّب اهتمامًا أكثر من قبَل المعنيّين والساسة وأهل البرمجة الثقافيّة. فالسؤال الرئيس لهذه الدراسة هو: ما هو دور المساجد ومكانتها في التنمية الثقافيّة للمجتمعات الإسلاميّة؟ وكيف نستطيع الاستفادة من السعة الكامنة للمساجد في تحقيق هذه التنمية؟

أولًا: مفهوم التنمية:

التنمية مسار يتضمّن التحسّن المستمرّ لكافّة أصعدة حياة الإنسان؛ المادّيّة والمعنويّة، وكذلك البُنى الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة، بحيث يصل الإنسان في هذا المسار إلى حياة ملؤها عزّة النفس والاتّكاء الذاتيّ، إلى جانب توسيع نطاق الاختيار في إطار مقبول. وللتنمية أهداف وآفاق تسبّب التقدّم المادّيّ والمعنويّ للمجتمع البشريّ، ومن أجل ذلك أصبح موضع اهتمام لدى المفكّرين المسلمين. كما أنّ للتنمية أبعاد مختلفة؛ كالتنمية الاقتصاديّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، والبشريّة[1].

وقد قدّم الباحثون تعريفات عدّة للتنمية (Development)، وعلى الرغم من أنّ مفاهيم التقدّم (Progress)، والنموّ (Growth)، والتطوّر (Advancement)، والتوسيع (Expanding) كانت معروفة في الأدب الاقتصاديّ والاجتماعيّ منذ أمد بعيد، لكنّ لفظة التنمية يُقصد بها في الأعمّ الأغلب المفهوم المتداول في العصر الراهن؛ فهذه المفاهيم -في

(1) انظر: خليليان، محمد جمال: اسلام و توسعه، قم: مركز مطالعات و پژوهش هاي فرهنگي حوزه علميه، 1381ش، ص51.

الواقع- مع أنّها تقصد إلى حراك نحو تحسين الأحوال والأوضاع السائدة في مجتمعٍ ما، لكنّ معانيها ومضامينها أضيق من التنمية. وتهدف التنمية إلى تحسينِ الأوضاع وتغييرها من الوضع الراهن إلى وضع أحسن؛ بوصفه هدفًا مثاليًّا لها.

ولأنّ اللغة والأدب موضوعان متحرّكان؛ كانت المصطلحات والمفردات عرضة للتطوّر على مرّ الزمان وفي شتّى المجالات الثقافيّة، فقد يُفهم من مصطلح واحد في شتّى الثقافات معاني عدّة مختلفة. والتنمية إحدى هذه المصطلحات التي تعرّضت للتغيير والتطوّر والتكامل في المعنى، في العصر الراهن، بعد أن توافرت أرضيّة مساعدة لعودة البشر إلى الدين، وبعد أن أصبحت القيم الأخلاقيّة ذات أهمّيّة في الأصعدة الاجتماعيّة؛ حتى في العالم العلمانيّ الغربيّ.

وهذا الأمر له سبق في تاريخ الثقافة الإسلاميّة؛ فعلى سبيل المثال: كان «**الإجماع**» أحد أهمّ المصادر لاستنباط الأحكام لدى أهل السنّة، فقَبِل علماء الإماميّة لفظَه واستبدلوا معناه بما يعنون منه؛ وكذلك مفردة «**الاجتهاد**» التي كانت في القرون الأولى؛ بمعنى الاجتهاد بالرأي -وهذا معنى مبغوض- لكنّها اليوم باتت سببًا لحركيّة الفقه الإماميّ، بعد تغيّر معناها على مرّ التاريخ، حيث كانت لفظة «**الاجتهاد**» تُستخدم حتى القرن الخامس بمعنى القياس والاجتهاد بالرأي، وهذا اجتهاد باطل من وجهة نظر الشيعة. وكان علماء الشيعة يكتبون بابًا تحت عنوان الاجتهاد في مؤلّفاتهم؛ بغية الردّ عليه وإبطاله وتحريمه؛ لكنّ معنى هذه المفردة لم يبقَ مختصًّا، بل وجد معنى صحيحًا منطقيًّا بشكل تدريجيّ؛ وهو الاستفادة من التدبّر والتعقّل في فهم الأدلّة الشرعيّة، وهذا يفتقر إلى جملة من العلوم التي هي مقدّمة مؤهِّلة ومعدِّة للتعقّل والتدبّر بشكل صحيح وعلميّ[1].

(1) انظر: مطهري، مرتضى: آزادى معنوى، تهران، منشورات صدرا، 1381ش، ص109-110.

وفي العصر الراهن - الذي يسمّيه البعض عصر الإحياء الدينيّ - أصبحت عدد من المفاهيم؛ كالقيم المتعالية والمباني الأخلاقيّة جزءًا من المكوِّنات الرئيسة للتنمية. ومن الواضح أنّ التنمية بمفهومها المتداول تختلف عن المفهوم الإسلاميّ لكمال الشخص والمجتمع؛ لكنّ البعض يرى أنّ «**التنمية المتمحورة حول الدين**» يمكن بيانها بتعبير «**الحياة الطيّبة**» القرآنيّ. فالتنمية المتمحورة حول الدين تُبنى على العبوديّة والعدل، وتبدأ من التطوّر داخل الإنسان[1]. وهذا الفهم للتنمية يرفض التوهّم بأنّ جملة من التعاليم الدينيّة؛ كالإيمان بالقدر والآخرة، وذمّ الترف، والدعوة إلى الإنفاق والزهد، تتعارض مع التنمية. لكنّ هناك ملاحظة تجدر الإشارة إليها وهي أنّ التأويل الخاطئ لهذه التعاليم الدينيّة لدى بعض المسلمين على مرّ التاريخ كان معارضًا للتطوّر والتنمية في الأبعاد الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة. فالإيمان بالقدر؛ بمعنى عدم المحاولة لإنشاء عالَمٍ أفضل والاستفادة من النعَم الإلهية، وذم الترف؛ بمعنى كراهية الترف والسعي لزيادة ثروات المجتمع، والإيمان بالآخرة؛ بمعنى نفي الرخاء الدنيويّ، والزهد؛ بمعنى تجنّب المواهب الإلهيّة والانزواء عن المجتمع والتنصّل من المسؤوليّات الاجتماعيّة؛ كلّها تأويلات دينيّة خاطئة.

لذا، كانت التنمية في الفكر الدينيّ تُبنى على ركنين أساسيّين؛ هما:

1. النظر إلى الإنسان وأبعاده الوجوديّة نظرة شاملة؛ بمعنى الالتفات إلى جميع حاجاته المادّيّة والمعنويّة، والعلميّة، والعاطفيّة، والجسميّة، والروحيّة، برؤية متعادلة، ليست متساوية بالضرورة.
2. تجنّب قصر النظر إلى حياة الإنسان على الحياة الدنيا. ففي الرؤية الدينية لا تُقتصر حياة الإنسان على فترة تواجده في هذه الدنيا، بل للإنسان حياة خالدة، وحياته الدنيويّة تحدّد كيفيّة حياته الأخرويّة؛

(1) انظر: الويرى، محسن: «مسجد، ارتباطات و توسعه پايدار»، فصلنامه علمى نامه صادق، دانشگاه امام صادق عليه السلام، شماره 31، 1386ش.

يعني أنّ الدنيا مقارنة بالآخرة هي ممرّ ومعبر؛ فينبغي النظر إليها نظرة آليّة، وليس نظرة استقلاليّة بمعزل عن الآخرة. وليس هذا الكلام بمعنى عدم العمل على إعمار العالم البشريّ، فعلى الإنسان أن يتزوّد من الدنيا للآخرة، وإن لم تكن هذه المزرعة عامرة، لن تُحصد ثمار يُعبأ بها[1].

ثانيًا: مفهوم الثقافة:

أصبح موضوع الثقافة (Culture)؛ على مستوى تعريفها وفوائدها ومكوّناتها موضع اهتمام الباحثين الغربيّين والشرقيّين في القرون الأخيرة، وأدّى إلى ظهور نظريّات وأبحاث عدّة فيها.

وتتكوّن الثقافة من جميع المؤسّسات، والأنماط، والفنون، والعادات والتقاليد، والأدب والمعتقدات، التي تتعلّق بطائفة خاصّة؛ وهي تتناقل بين الأجيال بشكل اكتسابيّ، وفي مسار شتّى التعاليم. وعلى الرغم من عدم ورود هذه المفردة «**الثقافة**» في القرآن والسنّة، لكنْ استُخدِمت فيهما مفردات؛ كالملة، والسنّة، والأمّة، والدين، والخلق؛ وهي تحمل مفاهيم قريبة من مفهوم الثقافة، أو كلّ من هذه المفردات يشكّل مكوّنًا من مكوّنات الثقافة، على أقلّ تقدير.

فعلى سبيل المثال، يدعو الله -تعالى- المسلمين إلى اتّباع ملّة إبراهيم عليه السلام في آخر آية من سورة الحج قائلًا: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[2]، وقال في سورة البقرة: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[3]، وقد ذكر المفسّرون أنّ لفظة «**الملة**» في هاتين الآيتين تفيد معنى المذهب، والمسلك الفكريّ، والطريقة، والعادات المتداولة عند طائفةٍ ما[4].

(1) انظر: الويرى، «مسجد، ارتباطات و توسعه پايدار»، م.س.
(2) سورة الحج، الآية 78.
(3) سورة البقرة، الآية 120.
(4) انظر: الطبرسي، فضل بن حسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، تهران، انتشارات ناصر خسرو، 1372ش، ج1، ص373.

ومفردة «**الملة**» في القرآن تارةً أضيفت إلى الأنبياء عليهم السلام، وتارةً إلى أقوام خاصّين؛ كاليهود والنصارى، وفي بعض الآيات الأخرى أضيفت إلى طريقة المشركين؛ كما قال تعالى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾[1]. ونستنتج من هذه الآيات أنّ هذه المفردة قد يُراد منها بيان مكوِّناتِ ثقافة قومٍ أو قبيلةٍ ما؛ فإنّ المشركين كانوا ملتزمين بها ولم يكفّوا عنها حيال الأنبياء عليهم السلام؛ ولم تكن هذه إلا مجموعة من المعتقدات، والعادات والتقاليد وربّما الأخلاق الرذيلة؛ وبعبارة أخرى: الثقافة المبنيّة على الشرك، وقد عبّر عنها القرآن بالملّة.

بناءً على ذلك، نستنتج أنّ مفردة الملّة تنظر في الأعمّ الأغلب إلى البعد العقَديّ من كلّ ثقافة، ومن الممكن أن تتكوّن من مجموعة من المعتقدات الصحيحة والممدوحة أو المعتقدات الخرافيّة والباطلة.

ويرى بعض المفكّرين أنّ الثقافة تشكّل مزيجًا من الإيمانيّات، والمعتقدات، والقيم، والأخلاقيّات، والسلوكيّات، والمصنوعات[2]. ويماثل هذا التعريف التعريف بالدين، إذ هو مجموعة من المعتقدات، والأخلاقيّات، والأحكام؛ وعليه تكون الثقافة قريبة جدًّا من الدين؛ وفق هذا التعريف.

ثالثًا: مفهوم التنمية الثقافيّة:

عندما نعرّف الثقافة بما يعمّ التراث الفكريّ، والسلوكيّات، والتجارب البشريّة، لا بدّ من لحاظ تنوّع الثقافات وتنوّع الأوضاع الاجتماعيّة وفوارقها في مختلف المجتمعات. وعلى أساس هذا التعريف تكوِّن الثقافةُ هويّات الأشخاص والشعوب، ولها تارةً مسار نزوليّ، وتارةً تترسّخ وتنمو وتتكامل بسبب الابتكارات وتقديم حلول للمشاكل والمعضلات[3].

(1) سورة الأعراف، الآية 89.
(2) انظر: مصباح يزدي، محمد تقي: تهاجم فرهنگي، قم، 1379ش، ص103-104.
(3) انظر: روح الاميني، محمود: زمينه فرهنگ شناسى، تهران، انتشارات عطار، 1372ش، ص108.

وتعتبر «**التنمية الثقافية**» أحد المفاهيم الحديثة على صعيد الحياة الاجتماعيّة، وهي وليدة التنمية العامّة للمجتمعات، أكثر من أنْ تكون نتيجة للنموّ الثقافيّ. وهي اليوم جزء لا ينفكّ عن التنمية المستدامة، وهي إحدى أهمّ محاورها؛ لدرجة أنّ التنمية ورُقي الثقافة أضحت معيارًا لتحديد مستوى التنمية الحقيقيّة.

وتحظى الثقافة وتنميتها في مسار التنمية الاجتماعيّة، والاقتصاديّة والسياسيّة بمكانة مرموقة، ويبدو مستحيلًا الوصول إلى التنمية في أقسامها الأخرى، من دون النجاح في هذا القِسم. لذلك تُعدّ التنمية الثقافيّة منصّةً لتحقيق التنمية[1].

ولذلك كان الاعتناء بالنموّ الفكريّ والأخلاقيّ في المجتمع، والرقيّ العلميّ في البلاد، وبثّ روح البحث والتحقيق، وتعزيز المعتقدات الدينيّة والتقاليد العلميّة، ومحاولة تنمية الفنّ وتطوير مكانته، وتوطيد القيم الاجتماعيّة وتشييد الثقة بالنفس الوطنيّة، وتحسين الإعلام وتقنيّات الاتّصالات ونشرها وتعميمها.. ينطوي على أهمّيّة كبيرة في تيسير الحصول على التنمية الثقافيّة.

وعلى العموم يمكن أنْ نرى أهمّيّة الثقافة في جانبين؛ الأوّل، مكانة الثقافة في وجود المجتمع وهويّته؛ والثاني، الدور الذي تمثّله الثقافة في تطوير المجتمعات[2].

(1) انظر: خليليان، اسلام و توسعه، م.س، ص84.
(2) انظر: پور عزت، على اصغر: مبانى دانش اداره دولت و حكومت (مبانى مديريت دولتى)، تهران، سمت، 1387ش، ص85.

رابعًا: العبادة والمسجد وأهمّيّتهما من منظار الإسلام:

العبادة أحد الأركان الرئيسة للأديان السماويّة، وخصوصًا الإسلام. وللعبادة معنَيان في الأدبيّات الدينيّة: العبادة؛ بالمعنى العامّ؛ وتُشمل كلّ تصرّف وعمل يُرضي اللهَ تعالى، وبالمعنى الخاصّ؛ هي الابتهال والمناجاة إلى الله تعالى، فتُشمل الصلاة، والدعاء، والذكر، وتلاوة القرآن، بحيث تحظى الصلاة بمكانة مرموقة بينها.

وتتطلّب العبادة مجموعة من الشروط والأسباب والعوامل؛ بعضها باطنيّة؛ كوضع العابد الباطنيّ والروحيّ، وبعضها ظاهريّة؛ كمكان العبادة وزمانها. ويمكن القول: إنّ من العلل الرئيسة لبناء المسجد في الإسلام تمهيد مكان لأجل اكتساب الأسباب الباطنيّة والظاهريّة لأداء عبادة خالصة ومرضيّة لله.

فالمسجد بيت الله من جهة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1]، ومن جهة أخرى مكان وموقع لأنبياء الله العظام وبيت لجميع المتّقين، وهو أحبّ بقعة عند الله؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَاجِدُ**»[2].

وقد سُمّي المسجد مسجدًا؛ لأنّه مكان العبادة والخشوع عند الله سبحانه وتعالى. والسجدة رمز العبوديّة والتواضع أمام الله تعالى، ولها شرَف وفضل خاصّ من بين جميع العبادات؛ حتّى الأركان الأخرى للصلاة. إذن، المسجد بمعنى مكان السجدة والصلاة هو في الحقيقة بمعنى مكان العبادة وذِكْر الله سبحانه وتعالى.

ومفردة «**المسجد**» عربيّة الأصل من مادة «**سَجَدَ**»؛ بمعنى مكان السجدة، وقد ذهب البعض إلى كونها معرَّبة من كلمة «**مزگت**»

(1) سورة الجن، الآية 18.

(2) النوري، ميرزا حسين: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، بيروت، مؤسّسة آل البيت، 1408هـ.ق، ج3، ص363.

(ܒܝܬܐ) الآراميّة[1]. في حين أنّ للمسجد تعريفًا أدقّ في المصطلح الشرعيّ؛ وهو مكان وُقِف لصلاة المسلمين؛ إذًا للمسجد ثلاث خصائص رئيسة: أنّه موقوف (لا يمتلكه شخص خاصّ)، وهو مكان عامّ للمسلمين (لا يختص بجماعة خاصّة منهم)، ويختصّ بإقامة الصلاة[2].

ويُعتبر المسجد في الأدبيّات الدينيّة والقرآنيّة «**بيت الله**»، ومن القرائن على ذلك: قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[3]، وقوله تعالى -أيضًا-: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾[4].

يقول العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسيره الميزان: «القدر المسلَّم من معنى البيوت هو المساجد؛ وهي موقع خاصّ لذكر اسم الله، وقد بُنيت لأجل ذلك، وبيوت الأنبياء والأئمّة الأطهار -أيضًا- نماذج لكلمة البيوت»[5].

وسبب التسمية بذلك هو: أنّ الناس يتقرّبون إلى الله في هذا المكان، ويسيرون إليه بالعبادة الخالصة الجماعيّة؛ لذلك يعبّر القرآن الكريم عن الكعبة التي هي أفضل بيت لله في أرضه ببيتٍ للناس، قائلًا: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[6]. وكلّما ذُكِر المسجد في القرآن أُشير إلى جوانبه العباديّة؛ كالعنصر المحوريّ والأساس في سموّ الثقافة الدينيّة وعلوّها، حيث هناك آيات عدّة تعرّف المسجد مكانًا للعبادة وذِكْر الله تعالى؛ منها:

- ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾[7].

(1) انظر: معين، محمد: فرهنگ لغت، تهران، انتشارات دانشگاه تهران، 1378ش، ص4063.
(2) انظر: الويرى، «مسجد، ارتباطات و توسعه پايدار»، م.س، ص35.
(3) سورة النور، الآية 36.
(4) سورة البقرة، الآية 114.
(5) الطباطبايي، سيد محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، قم، نتشارات اسلامى جامعه مدرسين حوزه علميه قم، 1374ش، ج4، ص126.
(6) سورة آل عمران، الآية 96.
(7) سورة الجن، الآية 18.

- ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1].

- ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

حيث يُلاحظ أنّ المسجد نُعت في هذه الآيات بأنّه يُذكر فيه اسم الله، ويُقبل عليه أولياء الله؛ تسبيحًا وحمدًا لله تعالى؛ ليلًا ونهارًا، فالرسالة الأولى والأساس لهذا المكان المقدّس في الإسلام هي أنْ يكون مركزًا للعبادة والذِكر وتسبيح الله تعالى.

كما ورد التشديد على الجوانب العباديّة للمسجد في كلمات الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ويكفي الرجوع إلى باب أحكام المسجد في كُتُب الحديث، فهي مكتظّة بالأحاديث في الجوانب العباديّة والأحكام الفقهيّة للمسجد. وندرك منها أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا بصدد تقديم المسجد مكانًا متلائمًا مع ذِكْر الله تعالى، وعلى المؤمنين أن يعبدوا الله تعالى فيه، بحضور قلوبهم، ويستفيدوا من بركاته وآثاره.

وكذلك يوجد روايات أخرى تؤكِّد على التواجد في المساجد وإقامة صلاة الجماعة، وتبيِّن ثوابها؛ منها:

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «**مَنْ صَلَّى الْخَمْسَ فِي جَمَاعَةٍ فَظُنُّوا بِهِ خَيْراً**»[3].

- قال صلى الله عليه وآله -أيضًا-: «**الجُلوسُ فِي المَسجِدِ انْتِظاراً لِلْصَلاة عِبادةٌ**»[4].

(1) سورة الأعراف، الآية 29.
(2) سورة الحج، الآية 40.
(3) الحرّ العاملي، محمد بن حسن بن علي: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، 1409هـ.ق، ج8، ص286.
(4) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام، تهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1412هـ.ق، ج80، ص.

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ عن النبي ﷺ: فِي وَصِيته لَهُ، قَالَ: «**يا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ اللَّهَ يعْطِيك مَا دُمْتَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِد بِكلِّ نَفَسٍ تَنَفَّسْتَ فِيهِ دَرَجَةً فِي الْجَنَّة وَتُصَلِّي عَلَيك الْمَلَائكَةُ وَيُكتَبُ لَك بِكلِّ نَفَسٍ تَنَفَّسْتَ فِيهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَيمْحَى عَنْك عَشْرُ سَيئَاتٍ**»[1].

وفي بيانه لأهمّيّة المسجد ودوره في الحكومة الإسلاميّة، يقول الإمام الخميني قدس سره: «اعلموا أنّ مساجدكم ومحاريبكم خنادق وجبهاتٌ للجهاد، فحافظوا عليها من أن تسقط بأيدي هؤلاء... في السنتين أو الثلاث سنوات الأخيرة فقد كانت معقلًا للثورة والثوّار، ومركزًا لاستنهاض الشعب ضدّ الظلم والطغيان»[2].

وقد نظّمت الثقافة الإسلاميّة عمليّة بناء المساجد؛ بوصفها رمزًا للحكومة الدينيّة وذات صلة بالمسلمين في شتّى أقسامها؛ من مسجد صلاة الجمعة، إلى مساجد الأحياء، التي تستقبل شرائح الناس في مختلف الأوقات، وهذا أنموذج على فاعليّة المساجد، ومحاولة الإسلام تنمية العلاقات الاجتماعيّة والثقافيّة في البيئة المدنيّة، عبر المساجد، منذ أمد بعيد إلى يومنا هذا. وكذلك الحسينيّات، ومراقد أولاد الأئمّة، والمدارس القديمة، وما إلى ذلك، هي أيضًا من العناصر المؤثّرة الأخرى في هذا المجال.

خامسًا: دور المساجد في التنمية الثقافيّة للمجتمع:

تجلّى المسجد في حياة المسلمين الاجتماعيّة في فترات زاهرة من الحضارة الإسلاميّة، وكانت له أدوار شتّى؛ كمجلس للشورى، ومحكمة للقضاء، ومركز للإفتاء، وقاعدة للقوات العسكريّة، ... حيث تنطلق الجيوش منه إلى معارك الجهاد في سبيل الله، وكان المسجد مكانًا للقضاء والحكم على الشؤون الاجتماعيّة للناس، وكذلك لحلّ الخلافات السياسيّة، وللبيعة

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، م.س، ج4، ص117.
(2) الخميني، روح الله: صحيفة الإمام، ج13، ص284.

مع الحكّام، وكانت المعاهدات السياسية والاقتصادية تُبرَم في المسجد، وكان أسَرى الحرب يُسكَنون في المسجد للاحتفاظ بهم حتى يُطلَقوا أو يُسلِموا، إضافة إلى الوفود والضيوف التوّاقين للتشرف بالإسلام أو للمناظرات العلميّة، وكان رسول الله ﷺ يعلِّم حديثي الإسلام فرادى في مواضع كثيرة، وكانت المحادثات العلميّة والثقافيّة بين الوفود والقبائل تنعقد في المسجد؛ وفي الواقع كانت هذه البرامج -إلى جانب الجوانب السياسيّة- هادفة إلى اعتناق الإسلام وترويج المعارف الإسلاميّة[1].

وقد كانت البيئة الثقافيّة التي أنشأها رسول الله ﷺ تستلزم أن تنعقد المباريات الشعريّة، وكذلك المحاضرات في حضوره وبإذنه، في المسجد، وكان الرسول ﷺ يواجه هذه المسألة بالحلم.

لذا، شكّل المسجد في المجتمعات الإسلاميّة المحور الأساس لمسار الحراك المتنامي، وبدء فصل سياسيّ جديد في حياة الأمّة الإسلاميّة، فكان تأسيس المسجد؛ بوصفه مركزًا عباديًّا سياسيًّا بمثابة الخطوة الأولى لأصل الحضارة الحديثة؛ لما له من أثر عميق على الحكومة والمجتمع والثقافة[2].

وجدير بالذِكْر أنّ الرسول الأعظم ﷺ بنى البيت والمسجد في مبنى معماريّ واحد ليُرِيَ الناس مزج المسجد مع حياة الناس الاجتماعيّة، وجعل بيوت كثير من الصحابة والمهاجرين والأنصار ملاصقة للمسجد، وأسكن جماعة كثيرة من المسلمين الفقراء والزهّاد - المسمّين بأصحاب الصفة - قربَ المسجد. وأقام خيمةً قرب المسجد؛ كالمستشفى، وخصّص مكانًا للشؤون العسكريّة، ومن أجل ذلك يجب أن تُبنى المباني الهامّة الاجتماعيّة، والعامّة، والضروريّة حول المسجد[3].

(1) انظر: آيتى، محمد إبراهيم: تاريخ پيامبر اسلام، تهران، جامعة تهران، 1361ش، ص143.
(2) انظر: معاديخواه، عبدالمجيد: تاريخ اسلام، تهران، منشورات ذره، 1377 ش، ص45.
(3) انظر: حجتى، محمد باقر: مسجد نبوى در گذر تاريخ، تهران، انتشارت دانشگاه تهران، 1377ش، ص65.

وقد ضمّن ابن خلدون في مقدّمة كتابه التاريخيّ -الذي اعتمد فيه تحليل التاريخ بأسلوب علميّ وبدقّة فذّة-، آرائه عن المسجد؛ بدءًا من عمارة المسجد؛ ووصولًا إلى العلاقة بين المسجد والسياسة، وكذلك المباحث الاجتماعيّة المرتبطة بالمسجد، ومن ثمّ بيّن دور المساجد العظيمة؛ كالمسجد الحرام، والمسجد النبويّ، والمسجد الأقصى، في العالم الإسلاميّ. وقال ابن خلدون في الباب الرابع من مقدّمة كتابه: «اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى فضّل من الأرض بقاعًا اختصّها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته، يضاعف فيها الثّواب، وينمو بها الأجور؛ تسهيلًا لطرق السّعادة لهم... فالمساجد قرّة عين المسلمين، ومهوى أفئدتهم، وعظمة دينهم»[1].

وينقل ويل دورانت أيضًا في كتابه «**قصّة الحضارة**» ما يحكي عن مجد المساجد وعظمتها ودورها في الحضارة الإسلاميّة: «لمّا توقّف محمّد ﷺ في المدينة بنى مسجدًا، واعتزم أن يستبدل بصِلات الدمّ صِلات الأخوّة الدينيّة في الدولة الجديدة، ويقضي على الغِيرة بين المهاجرين والأنصار - وكانت بوادر هذه الغِيرة قد بدت - فآخى بين كلّ واحد من المهاجرين وزميل له من الأنصار، وطلب منهما أن يصلّيا في المسجد معًا»[2].

وعليه، يمكننا أن نستنتج أنّ للمسجد هدفًا وفوائد؛ ونقصد بالهدف ما له أصالة، وسيكون دون ذلك بناءُ المسجد عبثًا؛ وبعبارة أخرى، من الممكن أن نعبّر عن الهدف بالفلسفة الوجوديّة. ونقصد بالفوائد التداعيات الجانبيّة التي تَظهر في ظلّ التواجد في المسجد؛ بغية الوصول إلى الهدف. والفارق بين الهدف والفائدة هو أنّ المسجد إن فُقِد منه أحد أو بعض الفوائد فما زال مسجدًا، لكنّه إن لم يصلّي فيه أحد أو لم تمكن فيه إقامة الصلاة فلم يَعد مسجدًا، بل هو كالتراث الثقافيّ أو المعالم التاريخيّة مثلًا. فالمسجد

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 1408هـ.ق، ج1، ص435-436.

(2) دورانت، ويل: قصّة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود؛ وآخرون، بيروت، دار الجيل، 1408هـ.ق، ج13، ص32.

كلّما أمّن فوائد أكثر إلى جانب هدفه الرئيس؛ فهو يكون حينها مؤسّسة أغنى، لترويج الدين واستقراره. ومّما يُعدّ فائدة للمسجد: الفوائد العباديّة، والتعليميّة، والتربويّة، والثقافيّة، والاتّصالاتيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة، والمعماريّة، وامتلاك الدور في جسد المدينة، والشرعيّة، والعسكريّة، والاقتصاديّة[1].

سادسًا: فوائد المسجد الثقافيّة في المجتمع:

ثمّة آيات وروايات عدّة ترتبط بالمسجد وفوائده، نستعرض منها: رواية عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام؛ بوصفها إطارًا تحليليًّا؛ وهي قوله عليه السلام: «**مَنِ اخْتَلَفَ إِلَى الْمَسَاجِدِ أَصَابَ إِحْدَى الثَّمَانِ: أَخًا مُسْتَفَادًا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ عِلْمًا مُسْتَطْرَفًا، أَوْ آيَةً مُحْكَمَةً، أَوْ رَحْمَةً مُنْتَظَرَةً، أَوْ كَلِمَةً تَرُدُّهُ عَنْ رَدًى، أَوْ يَسْمَعُ كَلِمَةً تَدُلُّهُ عَلَى هُدًى، أَوْ يَتْرُكُ ذَنْباً خَشْيَةً أَوْ حَيَاءً**»[2].

«**استطرفَ**» من مادّة «**طَرَفَ**»؛ ويعني أنّ يُصطفى وأنْ يُرى حديثًا[3]. واستطرفَ الشيء؛ أي أوجده ثانية[4]. والمقصود من المواضيع المستطرَفة هو المواضيع الحديثة والجديدة[5].

و«**الردى« من مادّة «رَدَيَ**»؛ يعني الهالك[6]. ويعني -أيضًا- الساقط[7].

و«**خشية**» من مادّة «**خَشَيَ**»؛ يعني الذُعر[8]. ويرادفه الخوف

(1) انظر: الويرى، «مسجد، ارتباطات و توسعه پايدار»، م.س، ص74.
(2) ابن بابويه، محمّد بن علي: من لا يحضره الفقيه، قم المقدسة، 1413هـ.ق، ج1، ص238.
(3) انظر: ابن بابويه، من لا يحضره الفقيه، م.س، ج1، ص238.
(4) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1414هـ.ق، ج9، ص214؛ الفيض الكاشاني، محمد محسن: الوافي، تصحيح: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، أصفهان، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، 1406هـ.ق، ج7، ص512.
(5) انظر: مصطفوي، حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تهران، منشورات النشر، 1360ش، ج7، ص68.
(6) انظر: م.ن، ج.ن، ص.ن.
(7) انظر: مهيار، رضا: فرهنگ ابجدى عربي - فارسي، تهران، منشورات اسلامى، 1410هـ.ق، ص43.
(8) انظر: م.ن، ص365.

والتجنّب[1]. يقول الراغب الأصفهاني: «هذا خَوفٌ يُشبِهُ التَعظيم؛ وعلّته الوقوف على ما يستحقّ الخوف منه»[2]. ولذلك اقتصر مقام الخشية من الله في القرآن الكريم على العلماء الحقيقيّين، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[3].

يذكر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الرواية الفوائد المترتّبة على الذهاب إلى المساجد؛ وهي التي نصطلح عليها بدور المسجد في التنمية الثقافيّة للمجتمعات الإسلاميّة؛ إذ أنّها فوائد ثقافيّة ناظرة إلى نموّ الثقافة ورقيّها في المجتمع الدينيّ. وبما أنّ لها أسانيد موثوقة قويّة؛ كالصحيحة[4]، فيمكن التعويل عليها والاستفادة منها في الإجابة عن السؤال الأساس للبحث؛ وهو: ما هو دور المساجد في التنمية الثقافيّة للمجتمعات الإسلاميّة؟

وقد لفت الإمام علي عليه السلام في هذه الرواية إلى ثمانية أمور، ينبغي على كلّ مؤمن أن يسعى للحصول عليها؛ بوصفها تمهّد له النجاة من النار -كما يشير إلى التجنّب من الردى والذنوب- والوصول إلى الجنة -كما يؤكّد على الهدى والرحمة-. فالمسجد أرضيّة طيّبة للتحقّق بالفضائل الاخلاقية لمن يعبد الله فيه، وكذلك يمكن الاستفادة من هذه الميزة في نشر الأخلاق الحميدة والسلام والمحبّة في المجتمع، كما هو أيضًا أرضيّة نوعيّة لإزالة الرذائل الأخلاقيّة من الفرد والمجتمع. ونظرًا إلى أهمّيّة هذين الأمرين نتناول نقاط عدّة هامّة بالنسبة إلى الألفاظ التي استخدمها أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه عن فوائد المساجد:

- **النقطة الأولى:** يدلّ «**اخْتَلَفَ**» على التنوّع والاستمرار؛ حيث يُظهر التحليل اللغوي أنّ «**اخْتَلَفَ**» -من جذر «**خَلَفَ**»- يعني التنوّع

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، م.س، ج14، ص229.
(2) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تصحيح: صفوان عدنان داودي، بيروت، دار العلم، 1412هـ.ق، ص284.
(3) سورة فاطر، الآية 28.
(4) انظر: المجلسي، محمد تقي: لوامع صاحبقراني، قم، مؤسّسة إسماعيليان، 1414هـ.ق، ج3، ص260.

والأنواع المختلفة. واخْتَلَفَ إلى مكانٍ؛ أي ذهب منه عاد إليه[1]. وتُستخدم «**الخِلْفة**» -بكسر الأوّل وسكون الثاني- إذا جاء واحد تلو الآخر[2]؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾[3]. وما يُفهم من هذه الكلمة هو أنّ الحصول على تلك الفوائد يتطلّب الذهاب إلى المساجد، مع نية التقرّب أو دونها، وإنْ كان ذهابه قربة إلى الله؛ فله فائدة عظمى[4].

- **النقطة الثانية:** استُخدمت «**الْمَسَاجِد**» بصيغة الجمع؛ وهو يفيد التنوّع والتعدّد؛ أي أنّ المساجد المختلفة تمتاز بفوائد مختلفة؛ وفقًا للمصلّين، وإمام الجماعة، والبرامج التي تُقام فيها. فلعلّ المشاركة في مختلف المساجد تزوّد الإنسان بفوائد شتّى.
- **النقطة الثالثة:** جملة «**أَصَابَ إِحْدَى الثَّمَانِ**» تعني يحصل على إحدى الثمان، فمن يشارك في المسجد ربّما لن يحصل على بعض هذه الثمان. وبما أنّ الإمام عليه السلام ذكر هذه الثمان؛ بوصفها خيارات محتملة، تؤيّد هذه الفرضيّة أنّ هذه الثمان ليست من أهداف المسجد الذاتيّة، بل هي فوائد تُكتسب بشكل عرضيّ، إلى جانب أهداف المسجد. لكنّ إمكانيّة الحصول على جميع هذه الثمان برمّتها تدلّ على كمال المسجد، وتعتمد الكمّيّة (الحصول على جميعها أو بعضها)، والنوعيّة (القدر الذي يُحصل عليه) على السعة الوجوديّة للإنسان وقابليّاته.

(1) انظر: مهيار، فرهنگ ابجدى عربي - فارسي، م.س، ص217.
(2) انظر: الراغب، المفردات في غريب القرآن، م.س، ص294؛ قرشي، سيد علي اكبر: قاموس قرآن، تهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1412هـ.ق، ج2، ص285.
(3) سورة الفرقان، الآية 62.
(4) انظر: المجلسي، محمد تقي: روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، قم، مؤسسه فرهنگى اسلامى كوشانبور، 1406هـ.ق، ج2، ص104.

إذن، من هذه الجملة «**أَصَابَ إِحْدَى الثَّمَانِ**» ندرك أنّ للمسجد المثالي هذه الفوائد الثمان، ويستطيع الإنسان أن يحصل على عدد منها؛ حسب مستواه المعرفيّ وحاجته السلوكيّة. فيمكننا أنْ نستفيد من هذه الرواية معيارًا لوضع السياسات وتنظيم البرامج؛ بغية ازدياد الفوائد الحقيقيّة للمساجد، وبالتالي نحاول بالجهد الجهيد والسعي الحثيث أن نوفّر بيئة الحصول على هذه الفوائد للمساجد.

فعلى الرغم من أنّ الفلسفة الوجوديّة للمسجد تكمن في إقامة الصلاة وقراءة القرآن: «**إِنَّمَا نُصِبَتِ الْمَسَاجِدُ لِلْقُرْآنِ**»[1]، لكنْ لهذا الهدف المقدّس فوائد تحلّ جملة من مشاكل مجتمعنا اليوم. فمن الممكن أن نصنّف تعابير أمير المؤمنين عليه السلام عن فوائد المسجد في الأقسام الثقافيّة، والاجتماعيّة، والعلميّة والتعليميّة، والعقَديّة، والتربويّة والهدائيّة؛ وفق الأنموذج التصويريّ الآتي:



الأنموذج التصويريّ 1 : أهداف المسجد وفوائده

سابعًا: مشاكل المساجد في المجتمعات الراهنة:

لقد توقّعَ أمير المؤمنين عليه السلام بنظرته الثاقبة الظاهرةَ التي تحدث في زمن غيبة الإمام المعصوم عليه السلام؛ وهي أنّ مباني المساجد ستكون فاخرة وعامرة؛ بمعزل عن أيّ فائدة ثقافيّة أو تعليميّة، فقال: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ،**

(1) الطوسي، أبو جعفر محمد بن حسن: تهذيب الأحكام، تصحيح: حسن الموسوي الخراسان، تهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1390ش، ج3، ص259.

وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ، وَقَدْ فَعَلَ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ»[1].

ومع أنّ جميع مقاطع هذه الرواية تستحقّ الالتفات، لكنّ التشديد الرئيس على تعبير «**خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى...**»، حيث إنّ الإمام يذمّ مسجدَين في هذا الكلام؛ الأوّل، المسجد الذي لا يبذل جهدًا للهداية الفكريّة في المجتمع الإسلاميّ، وليس له فائدة في الثقافة والهداية؛ والثاني، المسجد الذي أصبح مركزًا لنشر أفكار فاسدة وغير إسلاميّة، وجملة «**مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ**« **تشير إلى ذلك.**

فعلى الرغم من قول الإمام «**وَقَدْ فَعَلَ**»، لكن -مع الأسف- هذا الحال المؤسِف في الوقت الراهن أسوأ بكثير من ذلك الزمن. فمع نظرة عابرة إلى مساجد البلدان الإسلاميّة نواجه هذه الحقيقة المرّة أنّ كثيرًا من المساجد عاجزة عن تعزيز البنى الفكريّة والثقافيّة والمعنويّة للمسلمين، والأوجع من ذلك هو مساجد تصبغ أضلَّ الأفكار صبغة دينيّة وتنشرها في العالم على أنّ أفكار الإسلام! الأمر الذي يحتاج إلى يقظة المسلمين ووعيهم بأهميّة المسجد؛ لكي تعود إلى مكانتها الثقافيّة؛ معاهدَ تعليميّة وتربويّة للمسلمين تنشر الأفكار الإسلاميّة الأصيلة، وتقدّم الإسلام للعالم على حقيقته.

خاتمة:

من خلال إمعان النظر في رواية أمير المؤمنين عليه السلام التي يذكر فيها فوائد المسجد لأهله، ندرك أنّ كلّها فوائد ثقافيّة ناظرة إلى نموّ الثقافة

(1) نهج البلاغة، الحكمة 369.

ورقيّها في المجتمع الدينيّ. لكنْ من الواضح أنّ هذه كلّها -من المنظار الدينيّ- تؤثّر جزمًا على اقتصاد المجتمع وسياسته؛ بنحو مباشر أو غير مباشر.

وبناءً على ما تقدّم، نستنتج أنّ للمسجد أهدافًا وفوائد في المجتمعات الإسلاميّة؛ منها:

- أنّ المسجد أفضل مكان للعبادة -وهي من الأركان الأساسيّة للديانة الإسلاميّة-؛ لأنّه أرضيّة لاكتساب الأسباب الباطنيّة والظاهريّة لعبادة خالصة مرضيّة لله تعالى؛ كما أكّدت على ذلك جملة من الآيات والروايات.
- أنّ المسجد رمز للحكومة الإسلاميّة؛ كما جعله رسول الله ﷺ مركزًا لإدارة هذه الحكومة، ومحكمة للقضاء، ومعسكرًا للجيوش، ومدرسة لتعليم الشريعة الإسلاميّة، وساحة للمحادثة مع وفود غير مسلمين، ...؛ بما يدلّ على دور المسجد على الصعيد الاجتماعيّ والثقافيّ في حياة الأمّة الإسلاميّة.
- أنّ مَنْ يتواجد في المساجد يحصل على الفوائد الثمانية -التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام- أو بعضها؛ بحسب قابليّاته وسعيه. هذه الفوائد التي تنقذ المسلم من النار وتوصله إلى رحمة الله ورضوانه.
- أنّ المسجد أرضيّة مهمّة لإنشاء العلاقات بين المؤمنين، فهم يلتقون فيه أصدقاء طيّبين؛ من حيث الأخلاق والدين.
- أنّ المسلم يتعلّم فيه علمًا ينفعه في الحياة الدنيا، أو حكمةً ترشده إلى السعادة في الحياة الآخرة.
- أنّ المسلم يجد فيه ناصحًا فيتعظ بكلمته، ويتجنّب عن الآثام

الموبقة، أو يخجل من الذنوب التي تشوّه سمعته أمام المصلّين، فيُقلع عنها.

- أنّ المسلم يكستب فيه رحمة من الله، فيهتدي بها إلى الصراط المستقيم، وينجو من الهلاك والعذاب المهين.

وهذه كلّها نتائج ثانويّة للمسجد؛ لأنّ الهدف الرئيس منه: إقامة الصلاة وتلاوة القرآن، فيحصل من يعبد الله فيه على عدد منها، وفقًا لجهد يبذله في هذا المسار.

لا بدّ لنا من العمل الخلص الدؤوب لتنمية المسجد الثقافيّة، من خلال تحسينه، والاستفادة منه، وتفعيل دوره، ومكانته، وفوائده، وكذلك تطوير مستوى خدماته العباديّة، والتعليميّة وغيرهما، إضافة إلى تعزيز جاذبيّته، وربطه بحياتنا الفرديّة والاجتماعيّة، وتوطيد العلاقة معه.